Al-Qasemi Journal of Islamic Studies, **volume 6, issue 1 (2021), 125-159**

القوّة في القرآن الكريم

أ.د. عبد الله عودة[1]

رائد عبد الرحيم عاصي[2]

الملخص

يقوم هذا البحث على تتبع الآيات القرآنية، التي أوردت لفظ القوة بمشتقاته، وذلك بغرض فهم اللفظ والوقوف على المعاني والدلالات المتعلقة به في القرآن الكريم. تبين من خلال التتبع للآيات القرآنية أنّ القوة لا تُطلق فقط على القوة الجسدية فحسب، فهناك قوى أخرى، روحية وأخلاقية ونفسية وجماعية، نحتاج إليها إلى جانب القوة المادية.

كما أنّ القوة قد تستعمل في جانب الخير، وتترتب عليها آثار إيجابية، وقد تستعمل في جانب الشر، وتترتب عليها آثار سلبية. وظهر من خلال الدراسة، أنّ من أسباب القوة الحقيقية: الاعتصام بحبل الله، وكثرة الاستغفار والتوبة، والاجتماع وعدم التفرق، والمشورة، والصبر، والإعداد.

Power in Holy Quran (Thematic study)

Abstract

This research is all about tracing the verses of Holy Quran, which mentioned the word «power» with its derivatives, to comprehend the term, and provide an insight of meanings & connotations related thereto in the Holy Quran. It emerged from tracing that the term «power» is not restricted to the physical power only, but also covers other kinds of power, e.g. spiritual, ethical, psychological, & social ones, that we need besides the material one.

Moreover, power may used to support the goodness, and then it makes positive effects. On the other hand, power sometimes is exploited in the evil side, and negative effects ensue accordingly.

The research also clarifies that the causes of real power include among others: adherence to the directives of Allah, repetitive expiation & repentance, unity & consolidation, seeking consultation, patience, and preparation.

---

[1] أستاذ دكتور بقسم أصول الدين – جامعة النجاح الوطنية - فلسطين

[2] باحث في الدراسات القرآنية (ماجستير أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين)

مقدمة

تعالج هذه الدراسة موضوع القوة في القرآن الكريم باعتبارها شعار المسلم في حياته. قال صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ"[3]. ولكن هذه القوة ليست تلك التي تؤدي إلى الطغيان والظلم وسلب حقوق الآخرين، وامتهان كرامة الإنسان. قال تعالى: ((وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))[4]. وإنّما هي القوة الحقيقية، التي نسعى من خلالها، للذبّ عن ديننا وأمتنا، وقضاياها العادلة، وبناء الحضارة الإنسانية، وتحقيق الخير والسعادة والحرية للبشرية.

بعد البحث والمطالعة، لم أجد دراسة قرآنية تناولت الحديث عن لفظ القوة في القرآن الكريم بهذه الصورة، غير أنّ هناك دراسات حامت حول الموضوع، منها:

1- القوة في الإسلام: دراسة تأصيلية للباحث غازي المغلوث[5]. حيث تحدث عن القوة من منطلقات فكرية، وجهادية بشكل عام، ولم يدخل في تفصيلات، ومدلولات كلمة (القوة)، كوحدة موضوعية متخصصة.

2- القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل للباحثين عبد السلام اللوح وضيائي نعمان[6]. تناولت الدراسة موضوع الصراع بين الحق والباطل، مع ضرب الأمثلة القرآنية، وأنّ الغلبة في النهاية لأهل الحق.

اتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وذلك باستقراء الآيات القرآنية التي أوردت لفظ القوة، ومشتقاته، ثم تحليلها ودراستها من خلال كتب التفسير بخاصة، وغيرها من المصادر، والمراجع، التي يمكن الإفادة منها في هذه القضية.

---

[3] مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت261هـ: **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم (2664)، 4/2052.

4 البقرة: 190

5 رسالة ماجستير بكلية الشريعة بالرياض، إشراف ناصر بن عبدالله التركي

6 بحث مقدم إلى مؤتمر (الإسلام والتحديات المعاصرة) المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة: 3/4/2007-2م

مفهوم القوة ودلالاتها في السياق القرآني

معنى القوة في اللغة والاصطلاح

أولًا: معنى القوة في اللغة

ذكر ابن فارس: أنّ "القاف والواو والياء أصلان متباينان، يدل أحَدُهُما على شدة وخلاف ضعف، والآخر على خلاف هذا وعلى قلة خير. فالأول: القوَّة والقويّ: خلاف الضعيف.. ورجل قوي: أي، شديد. والأصل الآخر، القَوَاء: الأرض لا أهل بها، ويقال: أقْوَت الدار: خلت، وأقوى القوم، صاروا بالقَوَاء، ويقولون بات فلان القَوَاء وبات القَفْر، إذا بات على غير طُعم، والمقوي: الرجل الذي لا زاد معه"[7].

وذكر الراغب: إنّ القوة تستعمل تارة في معنى القدرة، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء، نحو أن يُقال: النَّوَى بالقوة نخل، أي متهيئ ومُتَرَشِّح أن يكون منه ذلك. ويستعمل ذلك في البدن تارة، وفي القلب أخرى، وفي المعاون من خارج تارة، وفي القدرة الإلهية تارة[8].

وأضاف ابن منظور معنى آخر للقوة، وهو قوة الحجة والبيان[9].

والأصل الأول الذي ذكره ابن فارس هو الأكثر استعمالًا في القرآن الكريم، وهو الذي يفيد الشدة والقوة بكل أشكالها: الدنيا، والقصوى، فعند الحديث عن قوة المخلوقات، فلا شك أنّ القوة هنا متفاوتة، ولها حدود، وأما عند الحديث عن قوة الله تعالى، فالقوة هنا مطلقة لا حدود لها.

---

[7]- ابن فارس، أحمد بن حبيب الرازي، ت 395هـ: **معجم مقاييس اللغة**، (بيروت: دار الجيل، ط1991،1م)، 36/5.

[8]- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، ت 503 هـ: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م)، ص 467-468.

[9] - ابن منظور، جمال الدين محمد الأفريقي المصري، ت 711 هـ: **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3 ،1994م) 207/15-212. وانظر: الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت 311هـ: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، (القاهرة: دار الحديث، ط2، 1997م) 375/2.

ثانيًا: معنى القوة في الاصطلاح

عرفها الشيخ التهانَوي بأنّها: "مبدأ الفعل مطلقا[10]". وقيل: "هي غاية الطاقة في الحركة"[11]. وعرفها ابن عاشور بأنّها: "كمال صلابة الأعضاء، لأداء الأعمال التي تراد منها"[12].

وبالمقارنة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، يظهر مدى التقارب بينهما، ويتبين أنّ القوة على صورتين:

الأولى: القوة المطلقة: وهي القوة التي تتعلق بالله تعالى، فقد ذكر الله تعالى قوته في أكثر من موضع في كتابه العزيز[13]، وبيّن أنّها قوة لا حدود لها، وسينتقم بها من الظالمين، ليقيم ميزان العدل بين الناس، قال الله تعالى: "وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ"[14].

الثانية: القوة التي تتعلق بالإنسان، وهي على ثلاثة وجوه:

1. القوة البدنية المخلوقة في ذات الإنسان، وهذه قابلة للتوسع والتصاعد بالتدرج مع الوقت، مع تدرب الإنسان على تطويرها وتوسيعها وفق الحدود البشرية.
2. القوة الداخلية التي تشمل النفس والروح والعقل والقلب، وهذه القوة أساسية ومهمة للإفادة من قوة البدن والأعضاء، وتوظيفها في الأهداف الخيّرة.

---

[10] - التهانَوي، محمد علي: **كَشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج، (بيروت: لبنان ناشرون، ط1 ،1996) ،1324/2.

[11]- الكبيسي، أحمد: "**برنامج الكلمة وأخواتها: منظومة الأيد**"، 2006م.
http://www.islamiyyat.com/kalema.htm.

[12] - ابن عاشور، محمد الطاهر، ت 1393هـ: **التحرير والتنوير**، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 2000م)، 44/10.

[13] - انظر مثلاً: قوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)) [هود: 66]. وقوله تعالى: ((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)) [القصص: 26]. وقوله تعالى: ((اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)) [الشورى: 19]

[14] - سورة البقرة: آية 165.

3. القوة المكتسبة من الآخرين.

لفظ القوة في السياق القرآني

أولًا: الدلالات المستفادة من ورود لفظ القوة في القرآن الكريم

من خلال استقراء لفظ القوة ومشتقاته، يظهر أنّه ورد في القرآن الكريم (42) اثنتين وأربعين مرّة، في (25) خمس وعشرين سورة. اثنتان وثلاثون مرة في القرآن المكي، وعشرة مرات في القرآن المدني[15]، بمعنى أنّ عدد الآيات المكية يربو على ثلاثة أضعاف الآيات المدنية، مما يدل على أنّ حاجة المسلمين إلى القوة في العهد المكي، هي حاجة ملحة، وفي ذلك إشارة ودلالة على عدة أمور، منها:

1. المسلمون في بداية الدعوة كانوا بحاجة ماسة إلى قوةٍ إيمانية، تجعلهم أقوياء لتحمل المسؤوليات المرتقبة لهم في المستقبل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لتحمل الضغوطات الهائلة التي كان يمارسها عليهم زعماء قريش، فهناك ضرورة للتسلح بالقوة، التي كانت تنقص المسلمين يومئذ، فقد تعرض المسلمون إلى شتى وسائل الترغيب والترهيب، لفتنتهم عن دينهم، لهذا كانوا بحاجةٍ كبيرةٍ إلى قوةِ الإيمان بالله وبرسوله وبدينهم، فجاءت الكثير من الآيات تطالبهم بأخذ الدين وتعاليمه بقوة وصدق وإيمان، كما في قوله تعالى: ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا))[16].
2. الحاجة إلى الاستعانة بقوة الله تعالى، حيث تطرقت الآيات لهذا الموضوع، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ))[17]. وفي قوله تعالى: ((وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))[18]. وهذا يعني أنّ المسلمين الذين يستمدون قوتهم من الله، بحاجة في بداية

[15] - ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1996)، ص 692-693.

[16] . سورة مريم: آية 12.

[17] . سورة هود: آية 66.

[18] . سورة الحج: آية 40.

الدعوة إلى التعرف على بعض مظاهر قوة الله تعالى، حتى لا يضعفوا أمام التهديدات وألوان العذاب، التي كانت تمارس عليهم من قبل المشركين.

3. الآيات المكية الكثيرة، التي تتحدث عن شدة بأس الأمم السابقة، وما حل بها من هلاك وعذاب، كما في قوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا))[19]، فتلك الأمم كانت أشد قوة وفتكًا من قريش، إلّا أنّها عندما كفرت بأنعم الله، وبرسله، قضى الله عليها، وجعلها أثرًا بعد عين، وفي هذا رسالةٌ للمسلمين ألّا يخشوا بطش قريش مهما كانت قوتهم، لأنّهم إلى ضعف وانحطاط، كما حلّ بالأمم العاتية السالفة، وفي هذا توجيه لنا أيضًا، في هذه الأيام، أن لا نخشى طغيان الأقوياء، وظلم الأعداء، فقوتهم إلى زوال، والأيام دول، والقوي لن يبقى قويًا، كما أنّ الضعيف لن يبقى ضعيفًا، فلا بدّ من لحظة تنتصر فيها مبادئ الخير والحق والعدالة، على هشاشة الباطل والظلم والطغيان.

4. الآيات المدنية، تطرقت هي الأخرى إلى المواضيع نفسها، التي تطرقت إليها الآيات المكية، ولكن بشكل أقل، لأنّ المسلمين بحاجة إلى هذه المعاني والقواعد الإيمانية في كل زمان ومكان، والذي تطور في العهد المدني، هو أنّه قامت للمسلمين دولة، يعتمدون عليها -بعد اعتمادهم على الله-، وأصبح الجهاد العسكري فيها فرضًا على الدولة، من أجل الحفاظ على كيان المسلمين ونظامهم السياسي، ومن أجل ضمان استمرار الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الأمر يتطلب التزود بالقوة المادية، لجهاد الأعداء عند الحاجة، ومن أجل ردع الأعداء عن تنفيذ عدوانهم على المسلمين، كما يدل على ذلك قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[20].

[19] . سورة الروم: آية 9.

[20] . سورة الأنفال: آية 60.

ثانيًا: معاني لفظ القوة في القرآن الكريم

المتأمل في سياق الآيات القرآنية، التي أوردت لفظ القوة، يخلص إلى المعاني الآتية:

1. القدرة الإلهية، كما في قوله تعالى: ((وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ))[21]، وفي قوله تعالى: ((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ))[22].
2. قوة الملائكة، كما في قوله تعالى: ((ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ))[23]، وهو جبريل عليه السلام[24].
3. قوة الجن، كما في قوله تعالى: ((قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ))[25].
4. العزيمة والجد، كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[26].
5. القوة البدنية، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ))[27].

---

[21] . سورة البقرة: آية 165.

[22] . سورة هود: آية 66.

[23] . سورة التكوير: آية 20.

[24] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، 290/5.

[25] . سورة النمل: آية 39.

[26] . سورة البقرة: آية 63.

[27] . سورة القصص: آية 76.

6. المعونة من الخارج، كما في قوله تعالى: ((قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا))[28].
7. **الرماية والإعداد**، كما في قوله تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ))[29]. وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي في قوله: "ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي"[30].
8. الإتمام والإحكام، كما في قوله تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا))[31].

أنواع القوة في القرآن الكريم

القوة المعنوية

عند استقراء الآيات القرآنية، التي أوردت لفظ القوة ومشتقاته، نجد أنّها عرضت أشكالًا متعددة للقوة المعنوية، وهي:

1. أخذ التكاليف بيقين، والعمل بها بقوة وعزيمة

قال تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[32]. في هذه الآية الكريمة، بيان أنَّ التكاليف والآصار، تحتاج إلى جد وعزيمة، وقوة ونشاط[33]. قال الطبري: "خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه

---

[28] . سورة الكهف: آية 95.

[29] . سورة الأنفال: آية 60.

30 - مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ، بَابُ فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، حديث رقم 1917، 1522/3.

[31] . سورة النحل: آية 92.

[32] . سورة البقرة: آية 63.

[33] - انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 149/2. الغرناطي، محمد بن أحمد، ت741هـ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، (لبنان: دار الكتاب العربي، 1403هـ -1983م، ط4)، 45/2. الشوكاني: **فتح القدير**، 262/2.

واعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توانٍ. وذلك هو معنى أخذهم إيّاه بقوّة وبجد"[34].

وقال تعالى: ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا))[35]. وهذا أمرٌ له بتعلم التوراة بجد وحرص واجتهاد[36]. يقول الرازي: "أي باجتهاد في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف"[37].

إنّ المتدبر في كتاب الله تعالى، تمر عليه الآيات الكثيرة، التي تشير إلى قوة الإيمان، وأثره في حياة المؤمنين، فالإيمان الراسخ في القلوب، مع صدق التوكل على الله، والصبر على آصار التكاليف، والتلذذ والرضا في تطبيقها، يحمل المؤمن على فعل الأعاجيب في التضحية والفداء، وبذل الغالي والنفيس، من أجل رفعة هذا الدين، وسيادته وهيمنته على غيره، قال تعالى: ((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))[38]. فالمؤمنون الصادقون يتمتعون بإيمان قوي، يجعلهم يشعرون بالرفعة والاستعلاء على غيرهم من الكفار والمنافقين، فلا يجد الضعف والوهن إلى نفوسهم سبيلًا، مهما تكالبت عليهم الدنيا، ومهما أحاطت بهم أمواج الفتن.

ما أحوجنا في هذا الزمان، للقوة الحقيقية، قوة الروح، التي فيها الريادة والسيادة والسعادة في الدنيا والآخرة، وأن نأخذ العبرة والعظة من عاقبة الذين أعرضوا عن الدين، ولم يأخذوه بالاهتمام والجدية المطلوبة، فكان عاقبتهم الخسران المبين، ومأواهم دار الفاسقين. إنّ زماننا هذا، انصرفت فيه العقول إلى القوى المادية، فتفننوا في تطويرها، وفجروا الذرة، وسبحوا

---

[34] - الطبري: **جامع البيان**، 402/1.

[35] مريم: 12

[36] - انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 114/3. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت597هـ: **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، 56/1.

[37] - الرازي: **مفاتيح الغيب**، 161/26.

[38] . سورة آل عمران: آية 139.

في الفضاء، وغاصوا في الماء، وشمخوا في البناء، فلا يجوز أن يَفتتن المؤمنون ببهرج القوى المادية الزائلة، بل يسخروها لهم.

2. الثبات على هذه التكاليف

قال تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))[39]. قال ابن عاشور: "نهوا عن أن يكونوا مضرب مثل معروف في العرب بالاستهزاء، وهو المرأة التي تنقض غزلها بعد شدّ فتله. ووجه الشّبه الرجوع إلى فساد بعد التلبّس بصلاح"[40].

الأصل في القوة الإيمانية أن تظل على وتيرة التصاعد في الدرجات، والثبات على تكاليف الدين، لأنَّ هذه العقيدة الإيمانية، متأصلة في القلب، فلا يجوز الانتكاس عنها إلى مهاوي الردى، والتنكر لمعاني الإيمان وفضائل الرحمن. قال السعدي: "هذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان بها برًا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره، كالعهود بين المتعاقدين وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها"[41].

إنّ الحاجة ملحة للثبات والاستقامة على تكاليف هذا الدين القويم، والتواصل مع معانيه المتجددة، فلا يستغني مسلم عنه في أي زمان ومكان، وفي عصرنا الحالي الذي تتلاطم فيه أمواج الفتن من كل جانب، ينبغي للمسلم أن يَعَضَّ على تعاليم دينه، بكل صدق وإخلاص، ولا ينظر إلى الذين تنكبوا الطريق، وابتعدوا عن الصراط المستقيم، ووقعوا فيما حذر منه رب العالمين. قال تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

[39] . سورة النحل: آية 92.

[40] - انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 264/14.

[41] - السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 448/1. وانظر: الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، ت370هـ: **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ)، 292/1.

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[42]، فهذه وصية الله لنا جميعًا، أن نبقى مرابطين في المواقع الإيمانية التي تزيدنا ثباتًا ويقينًا ومناعة، قال تعالى: ((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))[43].

3. تبليغ الناس هذه التكاليف

قال تعالى: ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ))[44]. ما أعظمها من آية وما أجلّها، فالله تعالى يقول لموسى عليه السلام: ((فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا)) وهذا إرشاد لجميع الدعاة، بأن يعلموا أنّ الأمر الطبيعي في التعامل مع اختيار الله وأمره، كما في قوله تعالى: "فَخُذْهَا"، هو أخذه له بالرضا والممارسة، لأنّه اختيار الله للعبد، فيجب التعامل معه بقوة اليقين وغاية الحب، وهذا يظهر من خلال تبليغ هذا الدين وتعاليمه للآخرين، كما في قوله تعالى: ((وَأْمُرْ قَوْمَكَ))، أي "مرهم بالخير وانههم عن الشر، يعني اعملوا بالخير وامتنعوا عن الشر"[45]. إنّ التبليغ والتبيين لهذا الدين، هو أمر رباني، وتكليف للأنبياء وأتباعهم، من أجل إيجاد بيئة صالحة، وطاهرة، لممارسة شعائر الدين، قال تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ))[46]. يقول البيضاوي: "هذا تشديد في إيجاب القيام بما أُمر به؛ أي الرسول: أتى بما أُمر به من التبليغ، ولم يبق لكم عذر في التفريط"[47]. فالعمل بالتكاليف الإلهية يحتاج إلى قوة وصبر في مخالفة محبوبات النفس، وإيثار محبوبات الرب

---

[42] . سورة الأنعام: آية 153.

[43] . سورة الحجر: آية 99.

[44] . سورة الأعراف: آية 145.

[45] - السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، ت367هـ: **بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر) 564/1.

[46] سورة فاطر: آية 24.

[47] - البيضاوي، عبد الله بن عمر، ت685هـ: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار الفكر) 370/2.

جلّ وعلا، والأمر الأسمى والأعلى من ذلك، هو دعوة الآخرين إلى الأخذ بهذه التكاليف، فهي مهمة ثقيلة ولكنها نبيلة، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا))[48] يقول الزمخشري: "هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، وخاصة على رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، لأنّه متحمِّلُها بنفسه ومحمِّلُها أمته"[49]. فهي إذن ثقيلة على النفس، ثقيلة على الغير، فهنيئًا لمن أعطاه الله القوة على تبليغ هذه التكاليف في زمان، زمجر فيه الباطل، وارتفع صوت أصحاب الأفكار الهدامة، التي تذبح الأخلاق، والعفاف، وتنشر الرذيلة، يدعون إلى باطلهم بكل ما أوتوا من قوة، من غير خجل ولا وجل، ويستعملون شتى أنواع الإغراء والاستمالة، فانظر إلى قوة جلدهم، وصبرهم على باطلهم، فأين أنتم يا حماة الإسلام وحراس العقيدة؟ أين أنتم يا أصحاب خير أمة أخرجت للناس؟ أين أنتم يا من بُعث نبيكم رحمة للعالمين؟ أرضيتم بالزرع وأخلدتم إلى الأرض؟ عليكم أن تأمروا بالمعروف، وأن تنشروا الخير وتنهَوْا عن المنكر، ولا تأخذْكم في الله لومة لائم.

4. أخذ هذه التكاليف بالكلية والشمولية

قال تعالى: ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ))[50]. من فضل الله على عباده أنّه أنزل كتبه، فيها التفصيل لكيفية التعامل مع شتى القضايا الفردية، والجماعية وغيرها، ((وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ)) أي: "تبيينًا لكل شيء من الأمر والنهي، والحلال، والحرام، والحدود، والأحكام"[51].

وفي هذا التفصيل والتكامل تكمن القوة الحقيقية في هذا الدين، وهذه القوة الدينية الراشدة هي التي تكسب المؤمن قوته وصلابته الإيمانية، التي تجعله قادرًا على أخذ الدين بالكلية،

---

[48] . سورة المزمل: آية 6.

[49] - الزمخشري: **الكشاف**، 639/4.

[50] . سورة الأعراف: آية 145.

[51] - البغوي: **معالم التنزيل**، 200/2. وانظر: وجدي، محمد فريد: المصحف المفسر، (القاهرة: دار النهضة، ط6، 1372هـ-1953م)، ص222.

وهذا ما أمر الله به المؤمنين، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً))[52]. "أي في جميع شرائع الإسلام"[53]، وليس كما حدث مع أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال أبو السعود: "إنّ من قضية الإيمان ببعضه، الإيمان بالباقي، لكون الكل من عند الله تعالى داخلًا في الميثاق"[54]. فليس لأحد حق الاختيار في الدين بعد الله ورسوله، قال تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا))[55]. قال البيضاوي: "فليس لهم أن يختاروا من أمرهم شيئًا، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعًا لاختيار الله ورسوله"[56].

فالدين إذًا مجموعة متكاملة من الأعمال، لا يصحّ إهمال بعضها، فالدين كلٌ لا يتجزأ، فلا يجوز مثلًا أن أكون حريصًا جدًا في جانب العبادات لا أنقص منها شيئًا، بينما أكون مقصرًا في جانب المعاملات أو الأخلاق، فهذا بلا شك فهم قاصر، يؤدي إلى عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، فما نلمسه في الحياة العامة من مشاكل وانحرافات، في الأسر والمجتمعات، أكبر دليل على ذلك، ولا ينقذنا من هذا الضعف والهوان، والتخلف عن تعاليم ديننا، إلّا أن نأخذ الدين بكليته، وهذا هو مراد وجود الدين بيننا، وهكذا نستفيد من بركاته وخيراته، يقول الله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[57]. فكما صلحت الأمة في أول عهدها عندما أخذت الدين

---

[52] . سورة البقرة: آية 208.

[53] - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ت468هـ: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق – بيروت: دار القلم – الدار الشامية، ط1، 1415هـ)، 160/1.

[54]- أبو السعود: **إرشاد العقل السليم** ،125/1. وانظر: المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1421هـ – 2001م)، 93/1.

[55] . سورة الأحزاب: آية 36.

[56] - البيضاوي: **أنوار التنزيل** ،375/4. انظر: الزحيلي، د. وهبة: **التفسير الوسيط**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1427هـ -2006م)، 2071/3.

[57] . سورة الأعراف: آية 96.

بكليته، ولم تنقص منه شيئا، هكذا تصلح الأمة في هذا الزمان، إن حذت حذوها، واقتفت أثرها، واستظلت تحت مظلة الكتاب والسنة عن حب وطواعية.

القوة المادية

وللقوة المادية في القرآن الكريم أشكال متعددة، وهي:

1. **قوة الانسان المجردة**

إنّ القوة المجردة من العلم والأمانة، لا قيمة لها ولا وزن، يقول الله تعالى: ((وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[58] قال الزجاج: "وصفهم بتمام الصور، ثم أعلم أنّهم في ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب"[59]. ويقول ابن عاشور: "شُبهوا بالخُشُب المسنَّدة تشبيه التمثيل في حُسن المرأى وعدم الجَدوى"[60]. ويقول صاحب الظلال: "هي ليست خشبًا فحسب إنّما هي خشب مسندة، لا حركة لها، ملطوعة بجانب الجدار"[61].

من المعلوم لدينا أنّ الدين جاء لضبط أخلاقنا وأنفسنا، ومن ذلك ضبط قوتنا المادية، حتى لا تصبح طائشة وهدامة، فالقوة هي نعمة ومنحة ربانية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير"[62]، فينبغي أن تصرف القوة على الوجه الصحيح، ولا يتأتى هذا إلّا من خلال ضبطها بتوجيهات المولى سبحانه وتعالى، الذي أعطانا إياها. فالسياق التاريخي للأحداث الإنسانية يعلمنا بشكل قاطع، أنّ

---

[58] . سورة المنافقين: آية 4.

[59] - الزجاج: **معاني القرآن**، 102/5.

[60] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 240/28. وانظر: الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي، ت1241هـ: **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1419هـ -1999م)، 115/6.

[61] - قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، 3574/6.

[62] - مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب رقم 8، حديث رقم 2664، 2052/4.

القوة المادية المجردة من التوجيهات الدينية، قد جلبت لأهلها الدمار والبوار، في الدنيا والآخرة، وكم من آيات قد نصحت أرباب السلطان بالحذر من عواقب القوة المنفلتة، المجردة من الإيمان، والتي لا تقيم وزنًا لدين أو لخلق. يقول الله تعالى: ((وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))[63] فهؤلاء ملكوا كل أسباب القوة، يقول الرازي في تفسير الآية الأخيرة: "إنّا فتحنا عليهم أبواب النعم، وأعطيناهم سمعًا فما استعملوه في سماع الدلائل، وأعطيناهم أبصارًا فما استعملوها في تأمل العبر، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها، فلا جرم ما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئًا"[64].

هذه النصائح لا زالت قائمة تحذر المجتمعات في كل زمان ومكان، ومن ضمنها زماننا هذا، الذي يطير بجناح المادية ويعوّل عليه كثيرًا، مع العلم أنّ عيوب هذا المسلك، قد بدأت تظهر جليًا في المجتمعات الغربية، ومن على شاكلتها، من خلال الانتكاسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، في ظل الانهيارات الكبيرة لمؤسسات عديدة في النظام الرأسمالي في العالم، حتى أنّه كثرت بشكل كبير المؤسسات والجمعيات، التي تحذر من عواقب سيطرة الهيمنة المادية بألوانها المختلفة على العالم، لذلك علينا -أمّة الإسلام- أن نضبط قوتنا بديننا القويم، وأن لا نغتر بالطفرة البشرية المادية الزائلة، التي لا تمثل بديلًا عن ديننا، الذي يطير بنا راشدين، بجناحي المادة والروح.

2. قوة الإنسان المقترنة بالعلم والأمانة

قال تعالى: ((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ))[65]، وقال تعالى: ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ

[63] . سورة الأحقاف: آية 26.

[64] - الرازي: **مفاتيح الغيب**، 28/ 25.

[65] . سورة القصص: آية 26.

أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))[66]، في الآيتين، بيان لاقتران القوة بالعلم والأمانة، وهو أمر ضروري من أجل أن تصبح القوة ذات فعالية وحيوية، فضبطها بالعلم والأمانة، توجيه لها في الطريق الصحيح، حتى لا تصبح عبثية ومنفلتة من أي خلق ودين وإنسانية، فما أجمل أن نتوج القوة بتاجَيّ العلم والأمانة، لأنّ هذين التاجين يكسبان القوة المادية، قوة وبركة وفعالية، وهكذا تتواصل القوة بالقنوات الصحيحة، والمغذية لها، فتصبح ملاذًا لطلاب الإنصاف والعدالة. ففي قوله تعالى حكاية عن بنت شعيب: ((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)) ما يدل على حكمتها وفطنتها، فهو "كلام حكيم جامع، لأنّه إذا اجتمعت الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك"[67]، "وهذان الوصفان ينبغي توفرهما في كل من يقوم بعمل كالإجارة أو غيرها"[68].

يقول الآلوسي في تفسيره لتقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم في الآية الثانية: "وفي تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم، إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية، بل يكاد لا يكون بينهما نسبة، لا سيما ضخامة الجسم"[69]. "فالعلم ملاك الإنسان، ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وبسطة الجسم يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قويًا في دينه، وبدنه، وذلك هو المعتبر لا شرف النسب"[70].

يظهر مما سبق، أنّ الاتجاه السليم في تكليف الأنبياء والملوك الصالحين، هو الجمع بين قوة ووضوح الرسالات، وبين العلم والأمانة، فإلى جانب هذا التكليف والتشريف، نجد المدح

---

[66] . سورة البقرة: آية 247.

[67] - الألوسي: **روح المعاني**، 66/20. وانظر: أبو حيان: **البحر المحيط**، 109/7.

[68] - انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 614/1.

[69] - الألوسي: **روح المعاني**، 167/2.

[70] - انظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 264/1.

والثناء في القرآن الكريم لكل من كان قويًا من الأنبياء والملوك الصالحين وغيرهم من سائر المؤمنين، لأنّ الهدف الأسمى من الرسالات السماوية هو صنع قيادة، وأمة تتمتع بجانب كبير، من القوة والعلم والأمانة، فما الفائدة من بعث أمة جديدة لا تتميز بنهجها وفكرها وأخلاقها عن الأمم الأخرى، ونحن نرى اليوم كيف أن الأمم والشعوب والقيادات التي تتمتع بجانب كبير من القوة والسيطرة، قد ملأت الأرض سفكًا للدماء، وأعملت سلاحها في الأمم المستضعفة، وامتصت خيراتها بسبب استعمالها للقوة المجردة من الأمانة والعلم المستوحيين من الدين، وإذا كان الأمر كذلك، فهل يجوز للأمة أن تبقى عاجزة عن الرقي في قوتها وعلومها وأمانتها؟ في زمان عزت فيه الأمانة، وأصبحت الأنظار تتجه نحو إيجاد بديل للفوضى الحالية، ولا يملك القوة الذاتية، والعلم الراشد، والأمانة الحقيقية في تغيير هذا الواقع المرير، إلا هذا الدين العظيم.

3. قوة الملائكة

الإيمان بالملائكة من الأمور الغيبية، ولا نعلم عن صفات الملائكة إلا ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، وقد تحدثت الآيات عن صفات بعض الملائكة، مثل الملاك جبريل عليه السلام الذي وصف بالقوة والأمانة، قال تعالى: ((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى))[71]. أي ملك قوي شديد، وهو جبريل عليه السلام[72]. قال الآلوسي: "وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده، في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس"[73]. وقال تعالى: ((ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى))[74]، وهذه صفة أخرى من صفات جبريل عليه السلام، والمِرَّة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات، وتطلق على متانة وحصافة العقل، وأصالته

[71] . سورة النجم: آية 5.

[72] - البيضاوي: **أنوار التنزيل** ،252/5.

[73] - الألوسي: **روح المعاني**، 47/27.

[74] . سورة النجم: آية 6.

ورجاحته، وهو المراد هنا، لأنّه قد تقدم قبله وصفه بشديد القوى، وتخصيص جبريل بهذا الوصف، يُشْعِر بأنّه الملك الذي ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل والأنبياء[75].

فالملائكة مخلوقات أمدها الله بالقوة، لتقوى على التحرك في هذا الكون الواسع، لتنفيذ أوامر الله عز وجل، وإذا كان الجبابرة يغترون بقوتهم وقواتهم على هذه الأرض، فما هم إلا جزء يسير في هذا الكون الواسع، وهذا تسلية للمؤمنين حتى لا يفتنوا بقوة الجبابرة، ومن ناحية أخرى فإن إمداد الله لعباده المؤمنين بالملائكة، كما حدث في بدر وغيرها، هو إرشاد للأمة في كل زمان، أن تستعين بالله، حتى يمدها بمدد من الملائكة، التي تتصف بالقوة الهائلة، ولكنها في الوقت نفسه، منضبطة بوحي الله لها، حتى تبقى ضمن حدودها وأمانتها الصادقة.

4. قوة الجن

الجن من الأمور الغيبية، وهي مخلوقات غير مرئية لنا، والمعلومات عنها نستمدها من الكتاب والسنة الصحيحة، وهي كغيرها من المخلوقات، تتمتع بالقوة التي تليق بها، وقوتها أشد من قوة البشر، قال تعالى: ((وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا))[76]، فالقوة التي يتمتعون بها تمكنهم من الوصول إلى مواضع، لاستماع الأخبار من السماء، ليعلموا بالحدث قبل أن يكون، ويهبطون به إلى الأرض، فيوحون به إلى أوليائهم من الإنس، ليحدّثوا الناس، فيفتنوهم عن دينهم. قال الشنقيطي: "إنّ الجن أعطاهم الله القدرة على الطيران والنفوذ في أقطار السماوات والأرض، وكانوا يسترقون السمع من السماء... فهم قادرون على بلوغ السماء من غير حاجة إلى صاروخ ولا قمر صناعي""[77]. كما يؤكد هذه الحقيقة حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "إنّ الملائكة تنزل في العنان، فتذكر

[75] - انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 95/27.

[76] - سورة الجن: آية 9.

[77] - الشنقيطي: **أضواء البيان**، 261/2.

الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم"[78].

وفي عهد سليمان عليه السلام سخر الله له الجن، فكانوا يعملون أعمالًا تظهر مدى قوتهم، وقدرتهم على صنع الأشياء العجيبة، قال تعالى: ((يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))[79] والمحاريب: جمع محراب، والمراد بها: أماكن العبادة، والقصور المرتفعة. والتماثيل: وهي صور شجر أو حيوانات. والجِفان: جمع جَفْنَة، وهي الآنية الكبيرة التي يوضع فيها الطعام. والجَوَاب: جمع جابية، وهي الحوض الكبير الذي يجمع فيه الماء والقدور: هي الآنية التي يطبخ فيها الطعام. وراسيات: أي ثابتات على قواعدها لا تنزل عنها لعظمها[80]. قال ابن كثير: "منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة، من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار، يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها"[81]. ومنهم من استعد وانبرى لأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين، في مدة قصيرة جدًا، على الرغم من ثقله وبعده، قال تعالى: ((قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ))[82]. والعفريت من الجن: "هو القويّ الشديد"[83]. قال السعدي: "والظاهر أنّ

---

[78] - البخاري: **الجامع الصحيح**، كتاب بدء الخلق، باب 6، حديث رقم 3038، 1175/3

[79] . سورة سبأ: آية: 13.

[80] - انظر: الألوسي: **روح المعاني**، 118/22-119.

[81] - ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 39/4.

[82] . سورة النمل: آية 39.

[83] - المحلي والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بن أحمد، ت 911هـ: **تفسير الجلالين**، (القاهرة: دار الحديث، ط1)، 499/1.

سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهابًا، وشهران إيابًا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا ألتزم بالمجيء به على كبره وثقله وبعده"[84].

إنّ قوة الجن بحاجة إلى ضبط من وحي خالقها، ولهذا بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم للإنس والجن، فكما أنّ علينا أن ننضبط بتعاليم ديننا لتوجيه قوتنا نحو الأهداف السامية، كذلك على الجن أن تضبط قوتها بعدالة وأمانة الدين، حتى لا تصرف قوتها للإضرار بعالمها وعالم الإنس. فالدين يحول دون أن يستشري الشر فيهم، والإفساد بينهم وبين الناس، فهم عالم سبق وجود الجنس البشري، وهو يغص بالغث أكثر من السمين، وبالشر أكثر من الخير، فالدين خير لهم في الدنيا والآخرة، وهو الذي يمدنا بالقوة الإيمانية والوسائل العديدة، التي تجعلنا بحول الله وقوته، أقوى من وساوس شرورهم وأفعالهم، التي يقصدون بها إيذاء البشرية، فكم من جني وقع صريعًا أو محروقًا، أو ولّى هاربًا، عندما وجه المؤمن سهام أدعيته، وأذكاره، لمردة الشياطين، فتغلبت قوة الإيمان على قوة الشيطان.

أسباب القوة ومصادرها في القرآن الكريم

أخذ الجيل الأول بأسباب القوة، فدانت لهم البلاد، وامتلكوا قلوب العباد، واستطاعوا أن يتغلبوا على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العصر، الفرس والروم، وبقيت دولة الإسلام قائمة، عندما أخذت بأسباب القوة الحقيقية، ولكن خلف من بعدهم خلف، غيروا وبدلوا، وتنازعوا على الحكم والسلطان، وانشغلوا بزينة الحياة الدنيا، وتنافسوا عليها فأصابهم الوهن والضعف، وأصبحوا للأسف في ذيل القافلة، فعلى الأمة الإسلامية اليوم، أن تلجأ إلى الله، لكي يقوى ظهرها، ويشتد أزرها، وأن تأخذ بأسباب القوة، التي تعيد لها مكانتها، ومجدها وسؤددها، وهي على النحو الآتي:

[84] - السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 605/1.

1. الاعتصام بالله تعالى

قال تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))[85]، "فالاعتصام بالله هو التوكل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، فهو الذي يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن-إذا اعتصم به-كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه"[86]. "فالاعتصام بالله هو الامتناع بطاعته من كل ما يُخاف عاجلًا وآجلًا"[87].

وهذا يُظهر أنّ الاعتصام بالله، من أهم أسباب ومصادر القوة عند المؤمن، فنحن –المؤمنين- لا ملجأ لنا ولا ملاذ، إلّا بأن نعتصم بجناب الله القوي، وذلك بالشعور والاعتقاد القلبي، أنّ الله معنا، ومصاحبنا في سيرنا في هذه الحياة الدنيا، حتى يعيننا على عبادته، وعلى مواجهة أعباء الحياة بشتى ألوانها وصورها. قال ابن عاشور: "اجعلوا الله ملجأكم ومنجاكم"[88]. فالمؤمن لا يستغني عن الله أبدًا، لا في الشدة ولا في الرخاء، وكلما اشتد اعتصام المؤمن بربه، تقوى عزته وإرادته الإيمانية، على مواجهة الأحداث بكل صبر وثبات.

2. كثرة الاستغفار والتوبة

قال تعالى: ((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ))[89]. "قدم الإرشاد إلى الاستغفار على التوبة، لكونه وسيلة إليها. وقيل: إنّ التوبة من متممات الاستغفار؛ وقيل معنى "استغفروا": توبوا. ومعنى "توبوا": أخلصوا التوبة واستقيموا عليها. وقيل: استغفروا من سالف الذنوب، ثم توبوا من لاحقها.

---

[85] . سورة الحج: آية 78.

[86] - انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: **مدارج السالكين**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، (القاهرة: مؤسسة المختار، ط1، 1422هـ) ،462/1.

[87] - السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، ت489هـ: **تفسير السمعاني**، (الرياض: دار الوطن، ط1 1418هـ)،495/1.

[88] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير** ،17/ 352.

[89] . سورة هود: آية 52.

وقيل: استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة"[90]. فبالاستغفار والتوبة نتحصل على الإمداد من السماء، ونكون أهلًا للاستزادة من خزائن الله.

3. الاجتماع وعدم التفرق

قال تعالى: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[91]. "(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) معناه: ولا تختلفوا فتضعفوا. (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) معناه: جدّكم وجهدكم"[92]. وجاء في تفسير الجلالين: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ"، أي: قوتكم ودولتكم"[93].

والتفرق سبب للتخاذل والفشل وذهاب القوة والوحدة[94]، فالدين الإسلامي هو سبب عزتنا ووحدتنا وقوتنا، وهو النبع الذي يغذينا بروح التعاون والاجتماع، وعدم التفرق والتنازع.

4. المشورة

قال تعالى: ((قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ))[95]. والمعنى كما قال الماوردي: "أشيروا عليّ في هذا الأمر الذي نزل بي، فجعلت المشورة فتيا"[96]. ورفعت ملكة سبأ من شأن المشورة وأنزلتها منزلة الفتيا، لأنّ الفتيا تكون على الغالب جوابًا للحوادث المعضلة، ولرفع مكانة مستشاريها وإشعارهم بأنّهم قادرون على حل المشكلات الصعبة[97]. وهذا الأسلوب في

---

[90]- الشوكاني: **فتح القدير**، 481/2.

[91] . سورة الأنفال: آية 46.

[92]- السمعاني: **تفسير السمعاني**، 270/2.

[93]- المحلي والسيوطي: **تفسير الجلالين**، 235/1. وانظر: شهاب الدين، أحمد بن محمد، ت518هـ: **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، (القاهرة: دار الصحابة للتراث، 1992م)، 219/1.

[94]- انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 317/2.

[95] . سورة النمل: آيات 31-32.

[96]- الماوردي: **النكت والعيون**، 207/4.

[97]- انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 284/6.

إدارتها للحوادث التي تواجهها قد أكسبها، قوةً في القرار، ورشدًا في السلوك، والمعاملات العامة، وتمكنًا من حكمها.

فمبدأ الشورى منصوص عليه في القرآن الكريم، على أنّه واجب على المسؤولين، حتى يكتسبوا القوة والشرعية، والرشد في أمورهم وقراراتهم، ودائمًا فإنّ النتيجة المتحققة بسبب الشورى هي نتيجة مرضي عنها، ومقبولة في الشرع الحنيف، مهما كان شكلها، وقد رأينا في معركة أحد، كيف أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قد شاور أصحابه في الخروج، أو عدم الخروج من المدينة للقتال[98]، وقد تبنى الرأي المخالف لرأيه، لأنّ القضية لم تكن وحيًا من الله، وإنّما هي قضية تتعلق بمصالح الأمة الوقتية وهي قابلة للشورى، فعلى الرغم من أنّ النتائج لم تكن على الوجه المطلوب، وقد تكون مدعاة لتفريق الأمة، إلّا أنّه بسبب الشورى، التي كانت قبل المعركة، فقد حفظت الأمة، وتوحدت كلمتها على النتائج.

5. الصبر

أكّد القرآن على الصبر في الكثير من الآيات، وذلك لحاجة المسلم إلى الصبر في شأنه كلّه، يقول ابن القيم: "إنّ كل مقامات الدين مرتبطة بالصبر من أولها إلى آخرها"[99]. قال تعالى: ((بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ))[100]. "وحقيقة الصبر، أنّه خلق فاضل من أخلاق النفس... يُمتنعُ به من فعل ما لا يَحسنُ ولا يَجمُل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"[101]. يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير وليس ذاك لأحد إلّا

---

[98]- البخاري: **الجامع الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب رقم 28، حديث رقم 6934، 2682/6.

[99]- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت751هـ: **عدة الصابرين**، (بيروت: دار التراث العربي، 1980م)، ص14.

[100] . سورة آل عمران: آية 125.

[101]- ابن القيم: **عدة الصابرين**، ص11.

للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[102]. فالقوة التي اكتسبها المسلم من الصبر جعلته قويًا في عقيدته وفي كرامته، وفي عبادته وسائر معاملاته اليومية، وفي مواجهته لكيد الشياطين، من الإنس والجان، وهذا يؤهله لأن يكون قويًا، ورائدًا في الإمامة والسيادة والأهلية لدخول الجنة.

6. الإعداد

قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ))[103]. القوة لا تأتي من الفراغ والأماني، وإنّما تتشكل، بفضل الله أولًا، ثم بالإعداد لها ثانيًا، وهي تقتضي التطوير والإعداد المتواصل، لملاءمة الظروف المتجددة، وهذا التطوير، يأتي عندما تتضافر الجهود الجماعية في الأمة. يقول سيد قطب: "يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائمًا، واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهتدية هي القوة العليا في الأرض؛ التي ترهبها جميع القوى المبطلة؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض فتهاب أولًا أن تهاجم دار الإسلام، وتستسلم كذلك لسلطان الله"[104].

7. المعونة الخارجية

قال تعالى: ((قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ))[105]. قال الشوكاني: "ومراده بالركن الشديد: العشيرة، وما يمتنع به عنهم هو ومن معه. وقيل: أراد بالقوّة: الولد، وبالركن الشديد:

---

[102] - صحيح مسلم، 2295/4.

[103] . سورة الأنفال: آية 60.

[104]- قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، 1538/3.

[105] . سورة هود: آية 80.

من ينصره من غير ولده، وقيل أراد بالقوة قوته في نفسه"[106]. "وشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدة قوته ومنعته"[107].

وهذه الآية الكريمة حكاية عمّا قاله لوط عليه السلام، فهي تبين مدى الأسى والحزن، والوجع النفسي، الذي وصل إليه هذا النبي الكريم، الذي دعا قومه إلى الكف عن فعل الفاحشة النكراء، ولكنه قوبل بالعناد والبلادة والاستهزاء، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اقتحموا عليه بيته، وأرادوا أن يفضحوه في ضيفه، فلم يجد منهم رجلًا رشيدًا، ينصره أو يؤازره، أو يستجيب لنصحه، بل اجتمعت كلمتهم على الرذيلة والفاحشة، وهو الغريب الوحيد بينهم، لا حول له ولا قوة، فقال هذه الكلمات المؤلمة.

مما سبق يظهر بوضوح أنّ المؤمن قوي بأخيه، وأنّه يحتاج إلى القوة، والسند، أحيانًا. فالجماعة المؤمنة، تحتاج بعد الاتكال على الله تعالى، إلى المعونة الخارجية، التي تشد من أزرها في حالة الضعف، وتقف بجانبها حتى تخرج من محنتها، وفي هذا الزمان تكالب الأعداء على هذه الأمة، فلا تجد بلدًا مسلمًا، إلّا والدائرة والاعتداء عليه، فعلى الأمة الإسلامية أن تتقوى ببعضها، لردع المعتدين، وأن تتعاون فيما بينها، ولا ضير أن تأخذ بالأسباب، وتتحالف مع غيرها، من غير أن تتنازل عن شيء من تعاليم دينها، وإنّما الهدف تقوية شوكة الإسلام ورفع رايته.

[106] - الشوكاني: **فتح القدير**، 515/2.

[107]- انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 392/2.

آثار القوة في القرآن الكريم

آثار القوة في الخير

للقوة آثار واضحة في جانب الخير كما يفهم من الآيات القرآنية التي تحدثت عن القوة، وأهمها:

1. حماية الدين والأمة وإرهاب الأعداء

قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُون بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ))[108]. "فالأمة مطالبة بإعداد القوة الحربية للدفاع عن الدين وعن الوطن، وعن كل ما يجب الدفاع عنه، لأنّ أعداء الإسلام إذا ما علموا أنّ أتباعه أقوياء هابوهم، وخافوا بأسهم، ولم يجرؤوا على مهاجمتهم، فيعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم، ويستطيعون أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحدًا إلّا الله عز وجل"[109].

2. العزم والتوكل على الله تعالى

إنّ ظروف الحياة تقتضي من الإنسان، أن يكون ذا عزيمة وقرار، حتى لا يبقى أمره طائشًا في مهب الريح، من هنا جاء الإرشاد للمسلم، أن يعزم أمره، بعد توكله على الله. قال الله تعالى: ((فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))[110]. "فإذا أخذ المسلم بهذه التعاليم الربانية، فلا شك أنّ أمره سيكون أفضل حالًا، وأقوى أثرًا، لأنّ التردد والحيرة، مرض لا دواء له، إلّا العزم، والتردد مفتاح لوسوسة الشيطان، وللفشل في الحياة. إنّ النفس المؤمنة، تصطدم في الحياة بشدائد تزلزل، ونوازل تزعزع، فالحياة ابتلاء وامتحان، وتجارب

---

[108] . سورة الأنفال: آية 60.

[109]- طنطاوي: **التفسير الوسيط**، 141/6.

[110] . سورة آل عمران: آية 159.

قاسية، تجعل النفس تضطرب وتتردد وتتأرجح، وهذا ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها، وتحتسب، وتستقيم، ولا ترتاب عندما يدلهم الأفق، ويظلم الجو، وتناوحها العواصف والرياح"[111]. وفي الآية الكريمة السابقة، "أمر الله تعالى نبيه عليه السلام، إذا عزم على أمر، أن يمضي فيه، ويتوكل على الله، والعزم: هو الأمر المُرَوَّى المنقح، وليس ركوب الرأي دون روية، فليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأنّه نقضٌ للتوكُّل، الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة"[112]. فمن استقرّ رأيه على فكرة معينة بعد دراسة فاحصة، واستشار العقلاء، الأمناء فيها، فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد، فإن التردد يضيع الوقت، ويحول الحسنات إلى سيئات، وعليه، فإنّ مع حسن الاستعداد، والتصميم، والعزم والجزم، أن يكون معتمدًا على الله، مظهرًا العجز أمام قدرته سبحانه، لأنّه هو الخالق للأسباب والمسببات، وهو القادر على تغييرها[113].

3. التضحية في سبيل نشر هذا الدين

قال الله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[114]. "فمن آمن وجاهد بماله ونفسه، فقد بذل ما عنده وما في وسعه، لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه، والنجاة من أليم عقابه"[115]. وقد علمنا من خلال تاريخنا المشرف، كيف أنّ أمّة التتار رغم عدتها وأعدادها وبطشها، فقد خضعت واستسلمت أمام ضربات المضحين من المسلمين بأنفسهم

---

[111]- انظر: قطب ، سيد: **في ظلال القرآن**، 3350/6.

[112] - انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 252/4.

[113] - انظر: طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط**، 319/2.

[114] . سورة التوبة: آية 111.

[115]- الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، (القاهرة: دار الصابوني، ط9)، 374/3.

وأموالهم، ثم أمام إيمان وتحلي المسلمين العميق بالأخلاق الإسلامية العالية، والجرأة في نشر الدين وتعاليمه.

وعلى الأمة الإسلامية اليوم أن تنهل من المنهل العذب، وتحذو حذو أجدادنا الصحابة، الذين تركوا بلاد الحجاز وخرجوا في سبيل الله، لنشر هذا الدين وإعلاء كلمته، فالأمة الإسلامية اليوم في ذيل القافلة، ليس لها قيمة، لأنّها قصرت في إعلاء كلمة الله، فركنت إلى الدنيا وزخارفها، وتنافست عليها، ولن تعود لها عزتها وريادتها، حتى تعود إلى سابق عهدها، في نشر الدين، وتبليغه في مشارق الأرض ومغاربها.

آثار القوة في الشر

للقوة آثار واضحة في جانب الشر كما يفهم من الآيات القرآنية التي تحدثت عن القوة، وأهمها:

1. الاغترار بقوة الجاه والسلطان

قال الله تعالى: ((وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ))[116]. قال السعدي: "فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله التي ما بلغها آدمي، كذَّب موسى، وادّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب ليتوصل إلى إله موسى"[117]. ووصل به الغرور، إلى التفاخر بنعم الله على أنّها من صنعه. هذا يظهر مدى تمرده وعتوه وكفره وعناده، أنّه جمع قومه فنادى فيهم متبجحًا مفتخرًا بما هو فيه من العظمة والملك، مستخفًا بموسى ومن معه على أنّهم فقراء ضعفاء[118]. بقي على ذلك حتى أهلكه الله تعالى وجعله عبرة للمعتبرين، قال تعالى: ((فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ))[119].

---

[116] . سورة الزخرف: آية 51.

[117]- السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 616/1.

[118] - انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 130/4.

[119] . سورة يونس: آية 92.

2. ثانيا: الاغترار بقوة المال

قال تعالى: ((إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ))[120].

والحق تبارك وتعالى يجعل من قارون، عبرةً لكل مَنْ لا يؤمن بالآخرة، ليخاف من عذاب الله، ويحذر عقابه، وقارون رأس من رؤوس القوم، وأغنى أغنيائهم، وهو رمز الغنى والجاه، فحين يأخذه الله، يكون في أَخَذه عبرة لمن دونه[121].

مما سبق ندرك أنّ كثرة المال، وقوة الأنصار من غير إيمان، تدفع بالإنسان إلى الشعور بالبطر، والفخر على غيره، وهذا تصرف خاطئ، لأنّ الله لا يحب المتعالين على غيرهم. وهناك دول تحصنت بقوتها واقتصادها، واغترت بما عندها، فآل أمرها إلى البوار والهلاك، وهناك دول ما زالت تسيطر على خيرات الشعوب، وتهيمن على باقي دول العالم، وتتحكم بدولارها في باقي العملات، مما يجعل كل خسارة فيها، لها تداعياتها على باقي دول العالم، وهذا ما حدث مؤخرًا، حيث تدهورت الحالة الاقتصادية فجأة، مخلّفة أزمة اقتصادية عالمية شديدة، ما زالت تلقي بظلالها على باقي دول العالم حتى الآن. وينبغي أن يكون هذا الوضع العالمي المتأزم اقتصاديًا، دافعًا لهذه الدول، أن تعيد حساباتها السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، محليًا وعالميًا، حتى لا تصل إلى حافة الهاوية. وما حدث مع قارون وفرعون في الماضي،

[120] . سورة القصص: آية 76-78

[121] - انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 1009/18.

سيحدث معها ومع غيرها في المستقبل، إذا ساروا على نهجهم، ولم يأخذوا العبرة مما حل مع أسلافهم.

3. الاغترار بالعدد والعتاد

قال الله تعالى: ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[122]. إنّ الاغترار والعُجب بالعدد والعدة، من الفتن التي تصيب الأفراد والمجتمعات، فالتفاخر بالعدد والعدة مذموم شرعًا، وقد جاءت عشرات الآيات القرآنية، تذم العجب بالكثرة وتحذر منها، والآيات المذكورة آنفًا، مثال واضح لباقي الآيات التي تحذر من الاغترار بالعددية، في جميع أشكالها وصورها، وتبين أنّ مآلها إلى الانهزام والخسارة "فليست العبرة بكثرة أنصار الباطل، بل بصمود أهل الحق والتزامهم له وجهادهم في سبيله"[123]. "فلا عبرة إذن بكثرة العدد، إنّما العبرة بالتأييد الإلهي، والنصر السماوي، فإذا جاءت الدولة، فلا مضرة في القلة والذلة، وإذا جاءت المحنة، فلا منفعة في كثرة العدد والعدة"[124].

---

[122] . سورة غافر: آية 82.

[123]- الصابوني: **صفوة التفاسير**، 155/1.

[124] - الرازي: **مفاتيح الغيب**، 157/6.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والذي أعان على إتمام هذا البحث الذي اشتمل على نتائج، يجدر بنا في نهاية المطاف، أن نلخص أهمها:

1. يدور معنى القوة في اللغة وفي الاصطلاح وفي السياق القرآني على الشدة والصلابة بكل أشكالها الدنيا، وهي: إما أن تكون مطلقة، كقوة الله تعالى، أو تكون محدودة، كقوة باقي المخلوقات.
2. أكثر الآيات القرآنية التي أوردت لفظ القوة، آيات مكية، مما يدل على أنّ حاجة المسلمين إلى القوة في العهد المكي، كانت حاجة ملحة، فكانوا بحاجة ماسة إلى قوةٍ إيمانية، تجعلهم أقوياء لتحمل المسؤوليات المرتقبة لهم في المستقبل من ناحية، ومن ناحية أخرى، لتحمل الضغوطات الهائلة، التي كان يمارسها عليهم أقوياء قريش.
3. أنواع القوة كما في الآيات القرآنية، هي:
   - القوة المعنوية، ومن أشكالها: أخذ التكاليف بيقين والعمل بها بقوة وعزيمة، والثبات على هذه التكاليف، وتبليغ الناس هذه التكاليف، وأخذ هذه التكاليف بالشمولية.
   - القوة المادية: ومن أشكالها: قوة الانسان المجردة، وقوة الانسان المقترنة بالعلم والأمانة وقوة الملائكة، وقوة الجن.
4. من أسباب القوة ومصادرها كما في الآيات القرآنية: الاعتصام بالله تعالى، وكثرة الاستغفار والتوبة، والاجتماع وعدم التفرق، والمشورة، والصبر، والإعداد، والمعونة الخارجية.
5. من الآثار المترتبة على القوة في الخير: حماية الدين والأمة، وإرهاب الأعداء، والعزم والتوكل على الله، والتضحية في سبيل نشر الدين.
6. من الآثار المترتبة على القوة في الشر: الاغترار بقوة الجاه والسلطان، والاغترار بقوة المال، والاغترار بالعدد والعتاد.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت597هـ. **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**. د.م: د.ن.، د.ت.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت751هـ. **عدة الصابرين**. بيروت: دار التراث العربي، 1980م.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. **مدارج السالكين**. تحقيق: رضوان جامع رضوان. ط.1. القاهرة: مؤسسة المختار، 1422هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر، ت 1393هـ: **التحرير والتنوير**، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 2000م).

ابن فارس، أحمد بن حبيب الرازي، ت 395هـ. **معجم مقاييس اللغة**. ط.1. بيروت: الجيل، ط1: دار ،1991م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**. بيروت: دار الفكر، 1401هـ.

ابن منظور، جمال الدين محمد الأفريقي المصري، ت 711 هـ. **لسان العرب**. ط.3. بيروت: دار صادر، 1994م.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

أبو حيان، محمد بن يوسف. **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد. ط.1. 1422هـ.

الآلوسي، شهاب الدين محمود. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.

البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير ناصر. ط.1. د.م.: د.ن.، 1422هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**. ط.4. د.م.: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ-1997م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط.1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.

التهانَوي، محمد علي. **كَشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج. ط.1. بيروت: لبنان ناشرون، 1996.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، ت370هـ. **أحكام القرآن**. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. **مفاتيح الغيب**. ط.3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، ت 503هـ. **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت 311هـ. **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي. ط.2. القاهرة: دار الحديث، 1997م.

الزحيلي، د. وهبة. **التفسير الوسيط**. ط.1. بيروت: دار الفكر، 1427هـ -2006م.

الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عبد الرزاق مهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط.1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، ت367هـ. **بحر العلوم**. تحقيق: د. محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر، د.ت.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، ت489هـ. **تفسير السمعاني**. ط.1. الرياض: دار الوطن، 1418هـ.

الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي – الخواطر**. القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. **أضواء البيان في إيضاح القرآن**. دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ- 1995م.

شهاب الدين، أحمد بن محمد، ت518هـ. **التبيان في تفسير غريب القرآن**. تحقيق: فتحي أنور الدابلوي. ط.1. القاهرة: دار الصحابة للتراث، 1992م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. **فتح القدير**. بيروت: دار الفكر، د.ت.

الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. ط.9. القاهرة: دار الصابوني، د.ت.

الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي، ت1241هـ. **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين**. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي. ط.1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1419هـ-1999م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**. تحقيق: أحمد شاكر. ط.1. د.م.: د.ن.، 1420هـ.

طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط.1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ط.1. القاهرة: دار الحديث، 1996.

الغرناطي، محمد بن أحمد، ت741هـ. **التسهيل لعلوم التنزيل**. ط.4. لبنان: دار الكتاب العربي، 1403هـ-1983م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط.2. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ-1964م.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي. **في ظلال القرآن**. ط.17. بيروت: دار الشروق، 1412هـ.

كبيسي، أحمد. "برنامج الكلمة وأخواتها: منظومة الأيد"، 2006م، http://www.islamiyyat.com/kalema.htm.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري. **النكت والعيون**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

المحلي والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بن أحمد، ت 911هـ. **تفسير الجلالين**. ط.1. القاهرة: دار الحديث، د.ت.

المراغي، أحمد مصطفى. **تفسير المراغي**. ط.1. بيروت: دار الفكر، 1421هـ-2001م.

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت261هـ. **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ت468هـ. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط.1. دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية، 1415هـ.

وجدي، محمد فريد. **المصحف المفسر**. ط.6. القاهرة: دار النهضة، 1372هـ-1953م.